بسم الله الرحمن الرحيم

أخلاق الصائمين وأهل القرآن

أولاً : العناصر

١- الصيام مدرسة للأخلاق .

٢- تحذير الصائمين من سوء الأخلاق .

٣ - الصبر والصيام قرناء.

٤ - من سلوكيات الصائمين في رمضان .

٥- فضل قراءة القرآن وأهله في رمضان .

ثانيًا : الأدلة:

الأدلة من القرآن:

١- قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة:١٨٣].

٢- وقال تعالى : {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ...} [البقرة: ١٨٥].

٣ - وقال تعالى: {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [الزمر: ١٠].

٤- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران: ٢٠٠].

٥- وقال تعالى : {{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا [وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال:٢] .

٦- وقال تعالى : " إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ [فاطر : ٣١،٢٩].

الأدلة من السنة:

١- عن أَبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم): «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ في أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» [صحيح البخاري].

٢- وعن أَبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِى بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَسْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِني امْرُؤٌ صَائِمٌ. والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ وَإِذَا لقي رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»[متفق عليه].

٤- وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) عن النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم): «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[متفق عليه].

٥- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ، فَشَفِّعْنِي فِيهِ "، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ» [المستدرك للحاكم].

٦- وعَنْ عُثْمَانَ بن عفانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَه»[صحيح البخاري].

٧- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ): «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ ؟ قَالَ: هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ ، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُه»[سنن ابن ماجه].

٨- وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ)[متفق عليه].

٩- و عَنْ أَبِى مَالِكٍ الأَشْعَرِىِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ. وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ - أَوْ تَمْلأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاَةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا ».[أخرجه مسلم].

ثالثًا- الموضـــوع:

لقد عُني الإسلام عناية كبيرة بمكارم الأخلاق، فلقد جعلها الرسول (صلى الله عليه وسلم) الهدف الأسمى من بعثته الشريفة، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[مسند أحمد]، فقد شُرِعَت العبادات في الإسلام لما فيها من المقاصِد العظيمة والغايات النبيلة، التي تهذب النفوس، وتزكي القلوب، وتطهر الجوارِح، فتصل بأصحابها إلى أعلى الدرجات.

ومن هذه العبادات: صيام شهر رمضان وما تضمَّنَه من قربات جليلة، فرمضانُ مدرسة يتربى فيها المسلم على مكارم الأخلاق، فالصيام يربي فينا التقوى، والتي جعلها الله تعالى هدفًا أسمى من الصيام في قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[البقرة : ١٨٣]، وسر ختام الآية الكريمة بالتقوى أن إعداد قلوب الصائمين يظهر من كون مرجع الصيام إلى ضمير الصائم ، حيث لا رقيب عليه إلا الله ، ومن دلائل التقوى في الآية الكريمة : التحلي بالأخلاق الكريمة والصفات النبيلة فعلاً وقولاً وسُلوكًا ، يقول (صلى الله عليه وسلم): «اتَّقِ الله حيثُما كنت، وأتبِع السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حسن"[سنن الترمذي].

ومن أخلاق الصائمين : التحلي بالصبر وهو ترويض للنفس وتهذيب للغرائز، وطرد للجشع والطمع ، فالصيام الحقُّ يجعل المسلمَ أوسع صدرًا وأطهر لسانًا وأبعدَ عن الشرّ، وإذا رأى زلّةً احتملها، وإن وجد إساءةً صبر عليها ، قال تعالى: " إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ " [الزمر: ١٠]، فالامتناع عن الشهوات يحتاج إلى قوة دافعة، فيصبر الإنسان على الجوع والعطش والشهوة، طاعةً لله عز وجل ، واتباعًا لنبيه (صلى الله عليه وسلم)، يقول ابن رجب (رحمه الله): " ومن أفضل أنواع الصبر : الصيامُ، فإنَّه يجمعُ الصبرَ على الأنواعِ الثَّلاثةِ، لأنَّه صبرٌ على طاعةِ الله عز وجل، وصبرٌ عن معاصي الله، لأنَّ العبدَ يتركُ شهواتِه لله عز وجل ونفسه قد تنازعه إليها، ولهذا في الحديث الصحيح : ((إنَّ الله عز وجل يقولُ : كُلُّ عمل ابنِ آدمَ له إلاَّ الصِّيامُ، فإنَّه لي، وأنا أجزي به، إنَّه تركَ شهوتَه وطعامَه وشرابَه من أجلي))، وفيه أيضًا صبرٌ على الأقدار المؤلمة بما قد يحصُلُ للصَّائم من الجوع والعطشِ..."[جامع العلوم والحكم].

ومن الصبر الذي ينبغي أن يصحب المؤمن في رمضان الصبر على أذي الناس ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَسْخَبْ فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِني امْرُؤٌ صَائِمٌ»، فمع هذا التوجيه النبوي ومع ما ينبغي أن يلقيه الصيام في نفوس الصائمين من الصبر وحسن الخلق نجد بعض الناس يغضبون لأتفه الأسباب ويثورون متعللين بالصيام وكأنه هو الذي يدعوهم إلى ذلك، وهذا يدل على أن الصيام لم يتمكن فيهم، وأنهم ليس لهم من صومهم إلا الجوع والعطش.

ومن الأخلاق التي يذكيها الصيام في نفوس الصائمين خلق العفو وكظم الغيظ والحلم، فهذه الصفات التي أثنى الله على من يتصف بها فقال: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[آل عمران: ١٣٤]

والنبي (صلى الله عليه وسلم) يحث الصائم على التحلي بها في قوله: «... فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّى امْرُؤٌ صَائِمٌ».

وكذا من الأخلاق التي ينبغي أن يكتسبها المؤمن من الصيام : العفة، فالصيام يربي أصحابه على الطهر والعفاف والتحكم في غرائز النفس، ولهذا وجّه النبي (صلى الله عليه وسلم) الشباب الذي لا يجد ما يتزوج به أن يعتصم بالصيام، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) عن النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قال: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[متفق عليه]، فأوضح النبي (صلى الله عليه وسلم) أن الصيام وقاية ووسيلة للعفة، وذلك لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، والصوم يضيق تلك المجاري ويذكر الصيام بالله عز وجل، فيضعف داعي الشيطان، ويقوى داعي الإيمان، وتكثر بسببه الطاعات وتقل المعاصي.

والصيام يربي فينا الالتزام والانضباط ويعالج الفوضى واتباع الهوى، ففي شهر رمضان يمسك المسلمون عن الطعام والشراب في وقت واحد، ويفطرون في وقت واحد، وهذا يُعلم الجميع النظام والالتزام.

ومن أخلاق الصائمين : مراعاة الفقراء واليتامى وقضاء حوائج الناس والمواساة، يتذكر فيه الغني أخاه الفقير، ويحنو عليه، ويطعمه مما يأكل ويسقيه مما يشرب ويواسيه، وقد رغّب النبي (صلى الله عليه وسلم) في ذلك فقال عليه الصلاة والسلام: «من فطّر صائما كان له مثل أجره، من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء» [سنن الترمذي]. فيجب على الصائم أن يشعر بمن ضاق بهم الحال، فيغيث ملهوفهم، ويسعى في جلب المصالح لهم ودفع الأذى عنهم، من باب قوله تعالى: {وَافعَلُوا الخَيرَ لَعَلَكُم تُفلِحُونَ} (الحج: ٧٧] ،والأجر في رمضان مضاعف ، فهنيئًا لكم أيها الصائمون فاستبقوا الخيرات.

ويتجلى التعاون على البر والخير بين المسلمين في صورة ما أجملها وما أرقّها في قول النبي (صلى الله عليه وسلم): «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة من كُرَب الدنيا، فرّج الله عنه كربة من كُرَب يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة» [متفق عليه].
عباد الله : فمن منا بحث عن فقير فأطعمه ؟ ومن منا وجد يتيمًا فآواه ؟ ، ومن منا رأي عريانًا فكساه ؟
إن الصيام في حقيقته هو التقرب إلى الله تعالى بترك الحلال من طعام وشراب وشهوات، ومعلوم أنه لن يتأتّى التقرب بترك المباحات إلا بعد التقرب بترك المحرمات، ولهذا قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ في أنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»، فالله عز وجل ليس بحاجة إلى العباد وإلى طاعاتهم، لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين، فإن لم تَتَقَوَّمْ أخلاقُ الصائم بصيامه فلا قيمة له لأنه فَقَدَ الغرضَ الأهم منه، لأن الله لم يرد أن يعذب العباد بترك ما يشتهون ويألفون، ولكنه أراد منهم أن يَدَعُوا مساوئَ الأخلاق والتي منها قول

الزور والعمل به، فأهون الصيام ترك الشراب والطعام، وقد ورد عن سيدنا جابر (رضي الله عنه) قوله: " إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ، وبَصَرُكَ، وَلِسَانُكَ، عَنِ الْكَذِبِ، وَالْمَحَارِمِ، وَدَعْ أَذَى الْخَادِمِ، وَلْيَكُنْ عَلَيْكَ وَقَارٌ وَسَكِينَةٌ يَوْمَ صِيَامِكَ، وَلَا تَجْعَلْ يَوْمَ فِطْرِكَ وَصَوْمِكَ سَوَاءً "[مصنف ابن أبي شيبة]، وما أبلغ قول الشاعر:

إذا لم يكن في السمع مني تصاون ** وفي بصري غض وفي منطقي صمتُ

فحظي إذاً من صومي الجوع والظما ** فإن قلت إني صمت يومي فما صمتُ

فإن كان يوم صيامك كيوم فطرك فماذا فعل بك الصيام؟! فينبغي على الصائم أن يتخلق بجميل الأخلاق وأن يتحصن بالصيام من كل شر، فعن أَبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم): «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ»[متفقٌ عَلَيْهِ]، فقول الصائم لمن يعتدي عليه (إني صائم) كأن الصيام حصن يحتمي به ويتقوى على نوازع الشر والجهل والطيش، فعلى كل صائم أن يستمد من صيامه ما يتحصن به ويتقوى على ترك المحرمات، فكيف بمن تَرْقَى به عزيمته إلى ترك المحرمات كأنواع التدخين، والمخدرات وغير ذلك أن يرتد بعد إفطاره مرتميًا في أحضان تلك المنكرات ليهدم ما بناه في نهاره من قوة الإرادة، فيا سعادة من اغتنم فرصة هذا الشهر الكريم فغير مسار حياته وأقبل على طريق الله عز وجل، ويا شقاوة من ضيعها وهتك حرمة هذا الشهر ودنسه بالمعاصي. فمما يجب على الصائم أن يحفظ لسانه وجوارحه عن المخالفات والشتائم وقول الزور مما يذهب بثواب صيامه وأجره، ولا ينال منه إلا الجوع والعطش، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النبيُّ (صلى الله عليه وسلم): " رُبَّ صَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ، وَرُبَّ قَائِمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ" [مسند أحمد].

ومن أخلاق الصائمين : صيانة اللسان وحفظه ، عن الخوض فيما يفسد عليه صيامه وقيامه ، فعلى المسلم ألا يتكلم إلا بالخير ويحذر من سبّ الناس وشتمهم، ولا يتكلم فيما لا يعنيه، قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده".

وانظر كيف كان السلف الصالح (رضي الله عنهم) يعيشون رمضان ؟ عاشوه بقلوبهم ومشاعرهم، كان الواحد منهم صابرًا على الشدائد، يحافظ على يومه ولا يشوه صومه ، أمّا ليلُه فكان يقضيه في القيام والوقوف بيدي مولاه وتلاوة القرآن.

ومن أخلاق الصائمين : مراقبة الله في السر والعلن، فترى الصائم يراقب نفسه، يقدر هيبة مولاه ، واطلاعه على كل حركاته، فلا يفكر أن يفسد صيامه ولو توارى عن الأعين ، وتلك منزلة الإحسان العظمى، وثمرة المراقبة في شهر

الصيام ، قال تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر: ١٩]، وهناك فرق بين مراقبة الخالق ومراقبة المخلوق فمراقبة الخالق فيها عز ، ومراقبة المخلوق فيها ذل ، وكم يحتاج المسلم إلى أن يربي نفسه على مراقبة الله دائما والعارفون يقولون: " لا يحسن عبد فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله فيما بينه وبين الناس".

ويحذرنا الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الأخلاق السيئة التي تمحو ثواب الأعمال الصالحة، وتحبط العمل، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) يَقُولُ : قِيلَ لِلنَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ فُلاَنَةً تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَدَّقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "لاَ خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ" قَالُوا : وَفُلاَنَةٌ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَّدَّقُ بِأَثْوَارٍ [الأثوار : جمع ثور وهو القطعة من اللبن المجفف، يعني تتصدق بالقليل]، وَلاَ تُؤْذِي أَحَدًا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ"[الأدب المفرد للبخاري].

فالإسلام يُريد من الصائم العابد أن يتحلَّى بكل خُلُقٍ كريمٍ، وفعلٍ قويمٍ، وقولٍ جميلٍ، قال (صلى الله عليه وسلم): «أكملُ المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خُلُقًا، وخيارُكم خيارُكم لنسائِهم»؛ [سنن الترمذي]، وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه سُئِل عن أكثر ما يُدخِلُ الناسَ الجنة، قال: «تقوى الله وحُسن الخُلُق». وسُئِل عن أكثر ما يُدخِلُ النار، فقال: «الفمُ والفرْجُ»؛ [رواه الترمذي].

ومن أخلاق الصائمين في رمضان: أنهم يشغلون جلّ أوقاتهم في رمضان في تلاوة القرآن الكريم ومدارسته، حيث ربط الله تعالى في كتابه الكريم بين صوم رمضان والقرآن الكريم ، فهذا الفضل كله لرمضان ما كان إلا لكونه ظرفًا لنزول القرآن الكريم، يقول الله تعالى: {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} [البقرة: ١٨٥]، فتأمل كيف رتّبَ فرض الصيام على نزول القرآن في هذا الشهر؟! بل إن ليلة القدر التي فضلها الله على ألف شهر قد أشار القرآن الكريم إلى أن سبب تفضيلها نزول القرآن الكريم فيها فقال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ} [القدر: ١ – ٥] .

إنّ المنزلة التي جعلها الله (عزّ وجلّ) لأهل القرآن الذين يشتغلون به تلاوة وتدبرًا وعملاً من أرقى وأعلى المنازل، فمن منا لا يتمنى أن يكون من أهل الله المقربين منه تعالى؟ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ) : "إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ"[سنن ابن ماجه]، فقارئُ القرآن منتسب إلى الله ، فما أعظمه من شرف ، فبقدر ما تحفظ من القرآن يكون الشرف والمنزلة.

فأهل القرآن يرفع الله قدرهم بين العباد، فعَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لقي عُمَرَ بِعُسْفَانَ وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي؟ فَقَالَ: ابْنَ أَبْزَى. قَالَ: وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى؟ قَالَ مَوْلًى مِنْ

مَوَالِينَا. قَالَ فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى؟! قَالَ: إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ. قَالَ عُمَرُ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ (صلى الله عليه وسلم) قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ»[صحيح مسلم].

إن العبادة التي تضمن لك آلاف بل ملايين الحسنات في ساعات معدودة هي قراءة القرآن، فعن عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ ألم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ"[سنن الترمذي]، فما أكثر الحروف وما أعظم الحسنات!!

إنّ القرآن خير من يدافع عنك يوم لا تجد نصيرًا ولا مدافعًا، فعن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلُ عِمْرَانَ». وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) ثَلاَثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا» [صحيح مسلم].

وقد بيّن النّبي (صلى الله عليه وسلم) الفرق بين المؤمن الذي يقرأ القرآن ويتعاهده وبين الذي لا يقرأ القرآن فقال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الذي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ التَّمْرَةِ لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الذي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الذي لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ» [متفق عليه]، والأترجة هي الفاكهة التي تجمع طيب الطعم والرائحة فنفهم من ذلك أن قارئ القرآن رائحته زكية، ومنافعه جليلة وقربه رحمة.

إن أعلى أهل القرآن أجرًا هم الذين يقرؤون بألسنتهم ويتدبرون بعقولهم وقلوبهم، قال تعالى : {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص:٢٩]، ولقد أثنى الله على من تلا آياته في كتابه العزيز ، قال تعالى : " إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" [الأنفال:٢]، قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : " تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ودليل ذلك قوله تعالى: { فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} [طه:١٢٣، ١٢٦]، وعَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ : "الْبَيْتُ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ تَحْضُرُهُ الْمَلائِكَةُ وَتَخْرُجُ مِنْهُ الشَّيَاطِينُ وَيَتَّسِعُ بِأَهْلِهِ وَيَكْثُرُ خَيْرُهُ ، وَالْبَيْتُ الَّذِي لاَ يُقْرَأُ فِيهِ الْقُرْآنُ تَحْضُرُهُ الشَّيَاطِينُ، وَتَخْرُجُ مِنْهُ الْمَلائِكَةُ ، وَيَضِيقُ بِأَهْلِهِ وَيَقِلُّ خَيْرُهُ"[مصنف ابن أبي شيبة].

فهنيئًا لأهل القرآن والصيام في الدنيا والآخرة، وما أهون الجوع والعطش بالنهار، والسهر مع القرآن بالليل حين يجدهما العبد يدافعان عنه يوم القيامة، فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ) قَالَ: " الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ فيَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ، إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهَوَاتِ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ فَيُشَفَّعَانِ"[المستدرك للحاكم].

فيا أيها المسلم الصائم : ليكن شهر رمضان محطة تغيير في حياتك أمانة في العمل ، وحرصًا على إنجازك الأعمال المطلوبة ،ونشاطًا لا يعرف الكلل والملل ، وبشاشة عند المقابلة ، ولينًا في الحديث وتلطفًا في الأخذ والرد.

ويا أيها الأب الفاضل : ليكن شهر رمضان مدرسة لتربية أبنائك ، فعلم أولادك فضائله وأخلاقه وآدابه حتى تكون قدوة حسنة ، ولبنة في بناء مجتمع متميز.

ويا أيها التاجر المسلم : ليكن شهر رمضان انطلاقًا في طلبك الرزق الحلال في تجارتك ، بلا غش ، ولا خداع ، ولا استغلال حاجات وضرورات الناس ،وكن سمحًا صدوقًا في البيع والشراء كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّه (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلاً سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، وَإِذَا اشْتَرَى ، وَإِذَا اقْتَضَى"[صحيح البخاري]، مؤديًا حق الفقراء من الصدقات والزكوات.

ويا أيها الطبيب المسلم : ليكن شهر رمضان شاهدًا لك في عملك ، ولا يكن همك جمع المال ، فكن رحيمًا بالمرضى ، وعليك بطيب الكلام الذي يبث الأمل والرجاء في قلوب مرضاك.

ويا أيها المعلم المسلم : ليكن شهر رمضان محطة تغيير وانطلاق في مهمتك الجليلة ، فكن قدوة صالحة لطلابك ، فاحرص على تعليمهم الأخلاق الحميدة ، فكن على حذر من أي عمل قبيح أو تصرف سيئ أمام طلابك، فهم يتأثرون بك ، فعند ذلك لن يكون لكلامك قيمة.

اللهم اجعلنا ممن صام رمضان فقبلته ، وقام ليله فرحمته ، ودعاك فأجبته ، اللهم اجعلنا فيه من الفائزين ، واجعلنا عند النعماء من الشاكرين ، وعند البلاء من الصابرين ، ولك في جميع أمورنا راجين .